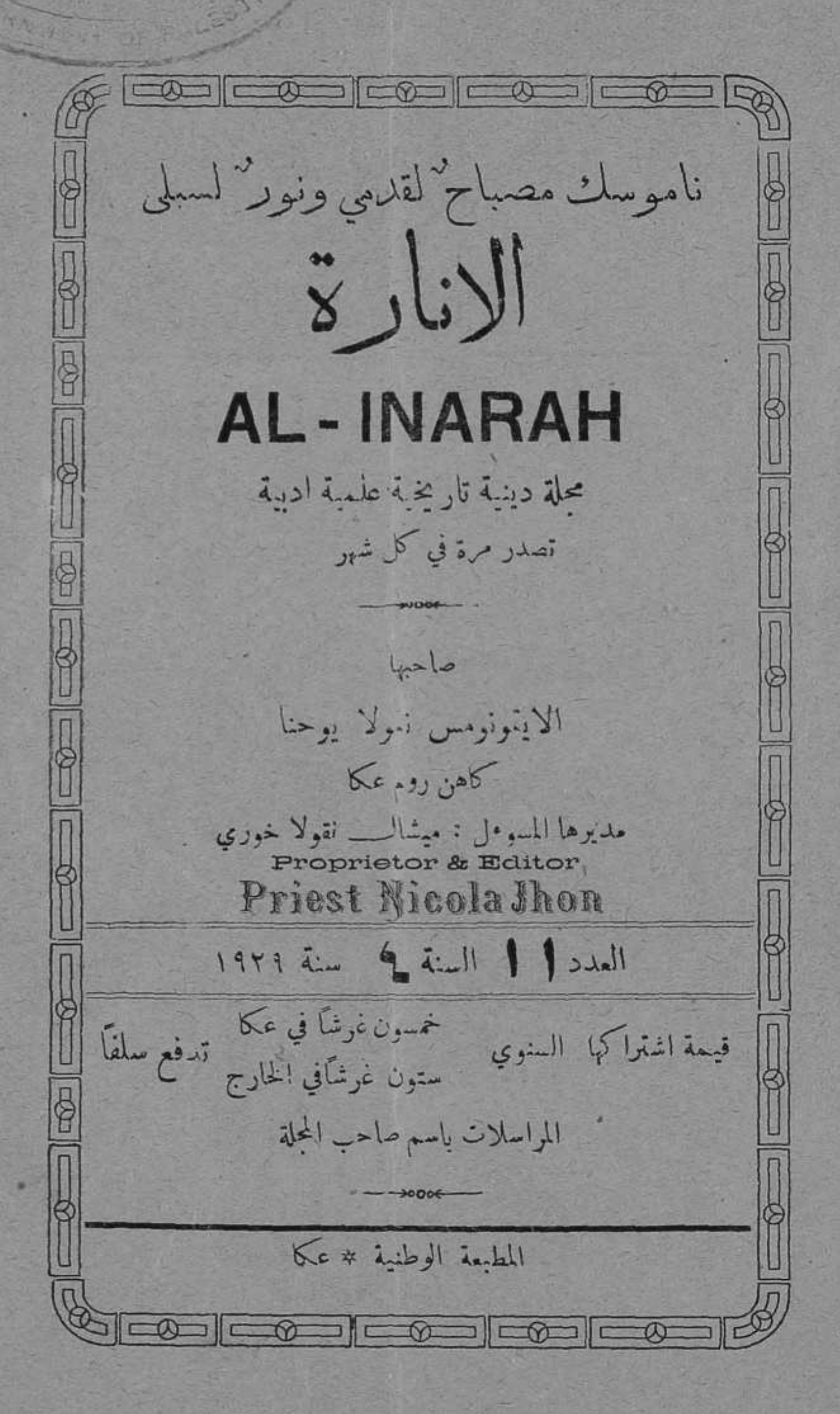


ناموسك مصباح لقدمي ونور لسبلي

الانارة

AL - INARAH

مجلة دينية تاريخية علمية ادبية

تصدر مرة في كل شهر

صاحبها

الايكونومس نقولا يوحنا

كاهن روم عكا

مديرها المسوءل : ميشال نقولا خوري

Proprietor & Editor

Priest Nicola Jhon

العدد ١١ السنة ٩ سنة ١٩٢٩

قيمة اشتراكها السنوي خمسون غرشاً في عكا ستون غرشاً في الخارج تدفع سلفاً

المراسلات باسم صاحب المجلة

المطبعة الوطنية * عكا

السنة ٤ العدد ١١

الانارة

مجلة دينية تاريخية علمية ادبية

عكا * تموز سنة ١٩٢٩

العلم العلم

ان ما نسمعه من حجج طبقات الامة واجناسهم واولهم وآخرهم لم تخرج كلها عن زخرف القول غروراً والجدل وافحام الخصم وذلك من سوء السلوك وضلالة الفهم والكسل والجهل .

ولو انهم عرفوا ما هي الامة ولمَ خلق الانسان ولمَ وضع فيه العقل ولمَ كاف ولمَ خلق حراً عاقلا مريداً لم يقولوا الا الحق ولم يلجئوا الا الى الصدق مثل الحكام والعلماء كمثل ضربه قدماء الهنود في رجلين اعمى ومقعد ادخلهما الناطور الى البستان فاهلكا الحرث والنسل وآذيا الشجر . الاعمى بقوته والمقعد بمعرفته فعاقبهما باخراجهما من البستان فماتا في القفر من الجوع والعرى والظماء

ذلك مثل الحكام والعلماء بل جميع افراد الامة من تاجر وزارع وصانع وجميع هؤلاء الطبقات ويرجعون الى قسمين منكرين وعاملين فالعلماء وكثير من الحكام من القسم الاول وبعض الحكام وبقية الامراء من القسم الثاني وكل هؤلاء كارباب شركة واحدة بل كجسم واحد مسئولون

احسن مثال للامة جسم الانسان فناشدتك الله هل يغني الاعمى اذا ترك التعليم ان يقول ها انا فاقد البصر فالعذر لي في ترك العلم كلا فانما هذه حجة المهوسين الضالين وما افراد الامة الا كحواس الجسم واعضائه فالمفكرون حواسه والعاملون اعضاؤه ولكل عضو او حاسة مزية تخصه كما ان كل فرد من الامة له عمل يليق به ويناسب فطرته ويستحسنه ويخالفه فيه الاكثرين ليتم اعمال الحياة بسر الوحدة من الكثرة

علماء الامة كالعقل في الانسان وعمالها من صناع وتجار ومزارعين ومسيطرين قوامين عليهم كالقدرة وبهم جميعاً يكمل نظام الحياة

كل امرئ اوفى عقلا وفهماً وتصرفاً امر بان يعمل بما يجب عليه لهذه الحياة من نفعه مع ابناء جنسه كما تدل عليه مواهبه الجسمانية وخواصه العقلية مما هو مشاهد معلوم محسوس . ومن اضل فهماً وانقص عقلا او اقل ادباً ممن دميت اصبعه فترك اعضاءه كلها بحجة ان اصبعه دميت وغاب عنه انه عضو صغير في وسط جسم كبير وجمع غفير من الاعضاء والحواس والمواهب

عرف ذلك الغربيون فاعد الفرد منهم نفسه ملكا حراً مطاعاً في جنود اعضائه ورعايا جسمه فيرى بذلك انه أغنى العالمين واقدرهم ولو فقد كل ساعد

يحتج المغلوبون على امرهم بذهاب الامر من ايديهم جهلوا وايم الحق كم لهم من اختصاص وسيطرة وقدرة وعقول وقوى (لا يكلف الله نفساً الاوسعها) فكل مكلف على قدر ما أوتي من القدرة والعلم والسعة والاختصاص والمواهب

ايظن الوغد الجاهل ان صانع هذا الكون يترك مواهبه كلها ولا يسأله عنها لسلبه موهبة واحدة ؟ كلا ثم كلا ساء مثلا القوم الجاهلون · ايعتمد الروساء والعلماء والاغنياء في الاعتذار على ان الامر ضاع من ايديهم وفاتهم ان للسراج موضعاً ليس للشمس ومن ذا الذي يترك بيته مظلماً احتجاجاً بان سراجه لا يضاهي الشمس اشراقاً ولا البدر ابراقاً ولا النجم اضاءة ولا نور الكهرباء بريقاً فهذه حجة الكسالى انى المتكسين الضالين · الا فليجد ويسعى كل شرقي وليعمل بالنصيحة فان الدين النصيحه لله ورسله وعباد الله اجمعين

ليس النصح خاصاً بالعلماء او الحكام بل يعم كافة الطبقات فلكل منهم شأن ليس للاخر ولن يغني احدهم عن الاخر شيئاً على ان اقصر اسم العالم على المتدين مجرد اصطلاح شائع ولكن المعقول ان كل من اتقن فناً

فهو به عليم فمن اتقن فن الزراعة فهو عالم به وهكذا الرياضيون والطبيعيون والاطباء والصناع كل عالم في فنه جاهل بسواه وعالم الدين يعرفه ويجهل غيره ومن ذا الذي قصر تكوين الامة ٠ علماء الدين؟ كلا ثم كلا وهل تكون امة حية في الوجود الا اذا بنيت على جميع العلوم الدينية

لعمري ان الطبيب وعالم الفلاحة يؤديان عملا لا ينقص قدراً عن عالم الدين فكلاهما يؤدون فرض كفاية وفضل احدهما على الاخر لا ينقص من قدره ٠ كل فرد من متنوري الامة عالم بشيء جاهل بآخر مطالب بالنصيحة بما علم ايا كان مسؤل عن تحسين علمه او صناعة لا فرق بين عالم ديني او دنيوي ٠ فوظائف اعضاء الجسم كل يمد الاخر ويستمد منه كاعضاء الهضم والدورة الدموية واعضاء التنفس والدماغ والحواس والاطراف

من المشاهد المحسوس ان الجرائد والمجلات العربية اثرت تأثيراً حسناً في الاعمال الخيرية وكونت احساساً جديداً للامة ٠ مع ان اربابها لم يسموا في الاصطلاح علماء ٠ وقد علمت انهم في الحقيقة علماء بما عهد اليهم وقد احسنوا فيه صنعا بل هذه اجل وظيفة للعلماء الرسميين وهؤلاء رجال الجمعية الزراعية قاموا بفرض كفائي وركن من اركان علوم الدين والدنيا فلهم جزاء عظيم في نظر الشرع بما عملوا (انا لا نضيع أجر من احسن عملاً)

اذا غلبت الامم الجاهـلة المنحطة على امرها واصابها حدثان الدهر فلتعد ذلك نعمة ولتقابله بالثبات في الاعمال والجد فيها بل تتخذه هداية لها في مستقبل الحياة وتسترجع مجدها كما فعل اليابان واليونان والتليان والامريكان . وكما تقوى حاسـة اللمس اذا فقد البصر والسمع وكما نرى اعضاء اليدين والرجلين واللسان والعقل تجد لارجاع البصر صاحبها الارمد

احسن مثل نضرب به للامة ان نقول الامة انسان والحكيم رأسه والشجاع بأسه والمجتهد فكره والواعظ والصحافي لسانه والمحتسب سمعه وبصره والمقتصد اعتداله والعالم عظمه والعامي لحمه والمتزهد دعته والحاكم قلبه والتاجر عروقه والغني معدته والاخلاقي جماله والصانع يداه والسائح رجلاه وهؤلاء كلهم عيال للحكيم العليم

فمن زعم بعد ما بينا له الان انه عضو اشل فليتخذ لنفسه نفقاً في الارض كالثعالب والارانب والجرذان او سلما في السماء فليعتزل نوع الانسان وليعاشر الطير في الهواء مع الهباء — ايظن العقلاء والشرقيون انهم اول امة اصابها حدثان الدهر

كلا فالزمان ابو العجب . فكم من امة وقعت تحت سيطرة الزمان واتخذت ذلك سبباً لارتقائها . لا عيب على الامم المغلوبة على امرها . انما العيب كل العيب ان تفقد الاحساس وتيأس من الحياة وتظهر الجزع

ونولول على ماضي ايامها كما يفعله النساء والشيوخ والاطفال

ليس لاحد من العقلاء عموماً والشرقيون خصوصاً حجة في كسله واتكاله واعتذاره الا فليقم كل امرئ بما عهد اليه وايعمل لنفسه ولغيره ان امكنه

ليعلم الرؤساء والعلماء والاغنياء انهم اكثر سوءالا اذا فرطوا واعظم ثواباً اذا عملوا اعمالا يعول عليها رقيهم ورفعة شأنهم ومجد وطنهم . هذا امر يشهد به الوجدان والعقل ويدل عليه النقل

فالملوك مسوءلون عن رعاياهم والوزراء والرؤساء عن نصائحهم والمديرون والمأمورون والكتاب والحجاب والعمد عما عهد اليهم والعلماء مسوءلون عن ارشادهم والصناع عن تحسين صناعتهم ومجاراتهم الغربيون والصحافيون عن ارشاد الجميع وهكذا الاطباء المهندسون والتجار والزارعون والاغنياء والشبان والشيوخ (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)

محب الاصلاح

التعزية قبل حلول المصاب

« لا اتركم يتامى اني آتي اليكم » (يوحنا ١٤ : ١٨)

ان هذه الاية الشريفة نطق بها السيد المسيح مخاطباً تلاميذه بعد قيامته وهو على وشك مفارقته لهم . فلئلا يخور عزم التلاميذ وتنحل قواهم وتبطل عزائمهم عندما يرون رفيقهم الذي صحبوه مدة طويلة قد تغيب عن ابصارهم ولم يعد لهم من يسترشدون به ويتخذون كلامه منهاجاً قويماً يتمشون عليه في جميع ظروف حياتهم نطق بهذه الكلمات تعزية لهم وتطميناً لقلوبهم « لا اتركم يتامى اني آتي اليكم »

واذا تأملنا في هذه الكلمات القليلة نرى انها اعظم تعزية واكبر سلوان لهم بعد مفارقتهم معلمهم بدليل ما نقرأه في ص ٢٤ من لوقا العدد الاخير انه بعدما انفرد عنهم وصعد الى السماء سجدوا له ورجعوا الى اورشليم بفرح عظيم وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله

كم تختلف هذه الحال عن حالهم السابقة يوم معرفتهم بقرب انفصالهم عن سيدهم وذلك قبل موته نرى انه لما كان يكلمهم بذلك الكلام كان الحزن يستولي عليهم ويأخذ منهم كل مأخذ ويقعون في اليأس الشديد وتحيط بهم الوحدة ويتبدل ايناسهم بالوحشة . ولا بد من انهم رأوا اشياء

كثيرة حدثت بعد ذلك الزمان تعلموا منها اموراً عديدة لم يكونوا قد عرفوها قبلا وشاهدوا قوة قيامتـه وسلطانه على الموت وغلبته على الجحيم ولا ريب في انهم قد ادركوا اشياء اخرى كثيرة في غضون الاربعين يوماً متعلقة بملكوت المسيح . وان ما رأوه من جلال حادثة صعوده المقرونة بعلامات محبته اللطيفة وبركة يديه الممدودتين كان كافياً لان يدفع عنهم كل شك وريب ويجعلهم مصدقين كل ما قال لهم معلمهم

ولنا في هذه الاية عدة امور نستفيد منها اولا قوله (اتركهم) نرى في هذه الكلمة ان الرب يسوع المسيح يشعر بمصابنا المزمع ان يحل بنا قبل ان نشعر به ولذا هو يستعمل الوسائط ليعزينا ويفرحنا في وسط ضيقتنا ويرينا منفذاً حسناً وعاقبة حميدة كما كانت للرسل بعد صعود المخلص الى السماء لانهم شعروا حينئذ ان وطنهم هو في السماء وان حياتهم مستترة مع المسيح في الله وان ذهاب المسيح من بينهم هو تهذيب لايمانهم وتعليمهم العبادة الروحية ورفع اشواقهم ابداً من الارض الى السماء حيث المجد والبهاء . ونحن نعلم ان المسيح وجه افكار تلاميذه الى تركه اياهم يوماً ما قبل طلبه وبعد قيامته ايضاً

قال الرب ان كنت قلت لكم الارضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون ان قلت لكم السماويات وليس احد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء . ولكن هذا الكلام

كان غامضاً عندما فاه به السيد الا انه اضحى جلياً للتلاميذ عند رجوعهم من جبل الزيتون . وكذلك في صبيحة يوم القيامة نسمع السيد يتكلم عن صعوده حالا بقوله لمريم المجدلية « لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد الى ابي » . فلا ريب البتة ان عقول التلاميذ اخذت تتوقع ما رأته في نهاية الاربعين يوماً

ثم نستفيد من قوله لهم « اني اتي اليكم » ان الله لا يزال ينتهز الفرص المناسبة التي بها يسكب من روحه على تلاميذه ويؤهلهم للقيام باداء الواجبات المطلوبة منهم ان ثبتوا منتظرين وعده غير متضجرين من طول الانتظار مؤمنين ان الذي وعده صادق ولا بد من ان يفي بوعده . وهذا الوعد قد تم بعد صعوده بعشرة ايام . هو علم مجرد ابتعاده عن تلاميذه يوقعهم في الحيرة والارتباك ويفقدهم كل عضد يعتمدون عليه وكل ملجأ يفزعون اليه عند ازباد تيار النوائب في بحر هذا العالم المفعم بالاكدار ولذلك اردف قوله « لا اترككم يتامى » بقوله « اني اتي اليكم وهكذا فليعلم كل مسيحي ان ذلك الكلام الذي كان موجها نحو التلاميذ هو موجه له ايضا . وان ذلك الصوت العذب والموعد الحلو لا يزال صداه يتردد خلال اذن كل تلميذ حقيقي قائلا « اني اتي اليك لا اتركك » انه وان كان غائبا عنا بالجسد هو حاضر معنا بالروح هو حاضر معنا ينظر الى اعمالنا وافكارنا هو حاضر معنا ويريد ان يساعدنا في كل امر يؤول

الى امتداد ملكوتـه هو حاضر معنا يراقب كل حركاتنا وتصرفاتنا يفرح للجيدة منها ويحزن للرديئة

فعلينا اذاً ان لا نجزع ولا تضطرب قلوبنا عالمين انـ يداً قوية ممـدودة لمعونتنا دائماً يجب ان نسلم ذواتنا اليه ونلقي انفسنا عليه ونجعله متكلنا ورجاءنا وعضدنا ومعيننا لنا . وعلينا انـ نلبث منتظرين اتيانه ونحرص لئلا ياتي ويجدنا متغافلين ملتهين باباطيل هـذا العالم وغروره فيصيبنا ما اصاب ذلك العبد البطال الذي اهمل الواجبات المطلوبة منهُ . هو قال : اني اتي اليكم : فاذاً لابد ان ياتي ليجازي كل واحد على حسب عمله وينيله استحقاق ما فعل ان خيراً فخيراً يلقى وان شراً فاياه

كلمات مأثورة

ان من الناس اناساً اذا راوا ضارباً يضرب ومضروباً قالوا للباكي لا تبك قبل ان يقولوا للضارب لا تضرب وهو منتهى الظلم والحيف

ـ لا اريد ان اكون موضع خوف بل موضع احترام

ـ ان كانت الحكومة تريد ان نكون معها وفي صفها مدافعين عنها فما عليها الا ان تتبع الحق وتحترم القانون

ـ لاجل ان نصـل الى غايتنا الشريفة يجب انـ نعمل وان نجد ويلزم ان نموت عند الاقتضاء

المقبرة الشرقية والغربية

اكفهرت السماء واسود وجهها وذهبت الشمس وذهب لهيبها فانتشر الظلام وظهرت الدنيا كلوح اسود تالقت به بعض النقاط البيض

ظهرت المقبرة واي شيء ظهر :— ظهر قسم من الارض خال وحيد ابكم اسود يخيم عليه الخوف ويعلو ناظراه الوجل لهذه الروءيا الرهيبة

هناك في جانبها وفي احد مساكنها يسكن اللعوب الصغير ذلك الذي حملته صغيراً وضممته ولداً وبكيت عليه ميتاً

عندما يستيقظ الوالد المفجوع بولده يرشده فكره له فيتفقده لحنوه ويبكي لفقده ويذكره لبعاده ، فعندها تتمثل المقبرة بمعناها المخيف المجزع

وعندما تتقلب الام في سريرها فتهلع الى وليدها وتقبله فاذا هي تقبل يدها ! فتسيل دموعها وينبض قلبها وتستعرض ذاكرتها حوادثها حتى تاتي المقبرة وهناك تتمثل المقبرة باجلى بيان تجمعنا المقبرة وتحزننا المقبرة وتخيفنا المقبره

فعندما يفرق الله بين الحبيب وحبيبته والصب وغزالته والعابد ومعبوده وتعلو الباقي الكآبة والحزن فالمقبرة تجمعها

وعندما يفارق الوليد والده والابنة امها والحسناء مربيتها تتفطر القلوب

وتسيل الدموع وتهلع القلوب فعندها يتمثل الحزن بعينه ٠

عندما ينظر ذلك الشاب وهو في سن العشرين تلك المقبرة وتاخذ عيناه تواجـه اشباحها وافكاره تناجي موتاها يعلو الى مـا وراء الخيال فيتصور قبر شبابه وذوبان غصنه وجفاف اوراقه ويرى الاخوان والخلان في سواد وحداد يعلوه الخوف

عندما تفكر الوالده تلك الارمـلة ويتيمها نحو المقبرة تذكره بوالده الرحوم وايام عزها وشبابها وعز والده وشبابه يبكي ولكن على مَ يبكي أعلى شيء لم تره عينه ؟ او على شيء خسرته نفسه ؟ ام على حالته الحاضرة فهنا المقبرة نادي تمثيلي تتمثل فيه المصائب والمنايا والرزايا

وذلك الشيخ المسن عندما تتعبه ذاكرته وتخونه اعصابه وحواسه ولا يجد من يعوله وينظر حوله فلا يرى من يحبه ويجوع ولا يرى من كان عنده الغذاء يطعمه يذهب الى المقبرة وهناك يسقي قبر طفله قطرات دموعه ويذكره متأوهاً ويبكيه متحسراً

هذه مقبرتنا يا قوم مثال للرهبة والهيبة والوقار واما مقابرهم فبساتين ازهار تتغنى عليها الاطيار باشهى الالحان وينعطر الهواء باريج الازهار يزورها المسن فينشرح صدره والصغير فيختال تيهاً وكبراً واما العظيم فيذكر عند روءيتها قصره الثاني ويبدأ بعدته حتى ياتي يومه لايواء جسده يهتم الغربي بنقش قبره وزخرفته وحفر حياته وقصة مفتراه وهو صغير

يعد لقبره كل حاجاته ويكتب عليه كل حياته ويسمون الكتابة « ابيتاف »

فلو القيت نظرك ولو مرة فوق احدى تلك الكتابات لاعترتك الدهشة والحيره واليأس والقنوط

فالدهشة سببها تلك الكتابة التي تجعل صاحبها فوق مستوى البشر

واما اليأس فسببه ذلك الاختلاف الظاهر بين الجيل الحديث المنحط والجيل السابق الراقي

وتتناسب الكتابات فوق القبور بالنسبة لمكانة الشخص واتركته ولما يفعله لقبره ويكتبه عليه في حياته

فترى ذلك الرجل يملأ صفحة قبره بوصف شجاعته وحروبه وانتصاره بمعاركه وهو ذلك الجبان السكير الذي لم يدخل احد المعارك ولكنه كان يناوش الحراس ويتخابط معهم لسكره وعربدته

وذلك المعارض العنيد تراه يكتب بساعد مشمره عن اخبار فصاحته وطلاقته وقوة عارضته وبيانه

وبالرغم من هذه المساويء ترى الحسنات تتجلى اذ ترى كل فرد يسعى ليطابق حياته على ما سيكتبه من وصف الشجاعة والراحة والفصاحة

فهم يخالفوننا بكل شيء بالعادة والاخلاق والمقابر مختلفة بيننا وبينهم ولكن يجمعنا في راحتنا شيء واحد وهو الديان

عكا　　　　　　　　جورج فاخوري

عنايـة الله

ان من نظر الى هـذا الكون المنظور بعين الاستبصار والتدقيق نظر العالم المحقق يرى ما يدهش العقول ويحير الالباب من حكمة سمت وتدبير عجيب ونظام غريب . يرى كبار العوالم مربوطة بصغارها ارتباطاً متيناً لا تغيره السنين ولا توهنه الايام ودقائق الاجسام تتألف وتتحاب شأن الاخوان في المجتمع الانساني الذين قد رضعوا لبن الاخاء من ثدي واحد وعاشوا تحت سماء واحدة على بساط واحد تضمهم الجيرة ومبادلة الافكار

ومعما هي عليه من كثرة العـديد واختلاف الحجوم وتباين المظاهر وتشعع الفوائد وتفرق العوائد ترجع الى البسائط القليلة العدد في جنب عددها الذي لا يحصى ولا يستقصى وهذه البسائط القليلة التي اتصل اليها علماء هذا الدهر يرجح ارجاعها الى وحدة بسيطه شأن القوى المختلفة الاجناس في ظاهرها الراجعة بعد الفحص والتمحيص الى واحدة

هـذه الحرارة والكهربائية والمغنطيسية قوى في الطبيعة اختلفت مظاهرها اختلافاً ظاهراً للعيان وتباينت آراء العلماء فيها اولا وارتئى فيها رأياً شاع مدى طويلا كان مخالفاً للحقيقة مخالفة لا تخفى على صغار طلبة

هذه الايام · وحيث لم يجد العلماء بعد الفحص والتمحيص ان رايهم يثبت في كبر الفلسفة انصرفوا الى غيره يعللون به مظاهر الطبيعة المنسوبة الى هذه القوى وكان محصل رايهم ان الذي يفعل في اظهار هذه القوى على اختلاف اجناسها اختلاف حركة الدقائق الخطرانية ذهاباً واياباً

فيا ايها القراء الكرام تاملوا ان حبلا يمسكه من طرفيه رجلان بشدانة ثم يقترب منه آخر ويحركه في وسطه فترى ان الحبل ايضاً يضطرب الى الامام والى الوراء الا ان تلافي تلك الحركة الخطرانية الجاذبية والفرق وهذه الحركة الخطرانية اشبه بحركة الرقاص وموج المياه

ولو لم تكن الحركة بين الدقائق على مثل هذه الحال بل كانت مثل حركة السهم المرمي عن قوسه لكنت ترى الكون في اضطراب دائم وانتقال سريع وبالتالي خراب عظيم وهلاك ابدي فما كان للانسان استطاعة المعيشة ولا سائر الحيوان والنبات · فهذا التدبير العجيب في تنظيم هذه الحركة هو من الحكمة الالهية وعنايتها في المخلوقات العالمية

وهذه الحركة الخطرانية على اقلها تظهر للحس البشري بمظهر الحرارة ومن ثم لو تزايدت الى حد معلوم ظهرت بمظهر النور وان تكيفت تكيفاً خصوصياً ظهرت بمظهر الكهربائية والمغنطيسية · فوجود اصل واحد لهذه القوى يدل دلالة جلية على وحدة الصانع المكون الازلي

وانما اتصل العلماء الى هذا الرأي بعد ان محصوه زمناً طويلا بالفحص

الدقيق والتجارب العديدة فانهم حولوا الحراره والكهربائية والمغنطيسية والنور الى حركة والحركة اليها وبهذه المعارف رقوا الحضارة والهيئة الاجتماعية الى درجة تذكر . واستخدموا هذه القوى الطبيعية لقضاء حاجات الانسان وتقويم اود معاشه وتثقيف حاله الدنيوية

وفي غضون هذه المدة لم ينحصر بحث العلماء في هذه القوى بل اخذوا المادة واجروا فيها التجارب الكثيرة وحللوا المركبات منها الى البسائط وفحصوا خواصها وراوا منافعها الكثيرة وضمنوا كل ذلك في علم الكيميا قوام الصناعة والزراعة والتجارة والطب فنفعوا بني نوعهم نفعاً عميماً وزادوا الرفاهية والتمدن بهجة والانسان رفعة غير انهم بعد هذه الابحاث الطويلة اتصلوا الى المباحث العويصة التي لا يدرك شأوها الا الله ولا يستطيع البشر على ما يرى لحل هذه المشاكل المشكلة الا وهو اصل اجزاء هذه البسائط وحجومها واشكالها وهل هي بسائط او يداخلها التركيب الدقيق الذي يتيه دون ادراكه العقل في فيافي الجهل وموامي الضلال . تلك مسألة استوقفت الانسان حيناً من الدهر اضطرته اخيراً ان يفرض الفروض ويرى الاراء شانه في كل مسبب خفي عليه سببه وكل معلول خفيت عليه علته . وكان رايه الاخير ان المادة موءلفة من جواهر متناهية في الصغر حتى لا تدرك باعظم المكبرات . ونرى العلماء دائبون بكليتهم ليوفقوا بين المادة والقوة اي ليرجعوا المادة الى عنصر واحد بسيط كما رجعوا القوى

كلها الى واحدة وهي الحركة · تلك خطـة بعيدة المرمى متراخية الامد لا يرى ما فيها من المشاق الا من كابد مشقات تحصيل العلم من كنوز الطبيعة الفنية

هذه مسائل بالحقيقي تستوقف العقل وتجعله ان يرضخ لحكم باريء الاكوان غير ملتفت الى ادراك كنهه وهي من اقوى الدواعي التي تدعو بالانسان الى الاقرار بالعجز والتقصير والضعف والعي والحصر · وتجعل في ذهن المتأمل عظمة الخالق في الطبقة العليا التي لا ترتقي اليها في عقل انسان لا يوجد عنده شيء من العلم · وهذا لا يختبره الا رجال العلم الذين يتبصرون في الحقائق ولا يكابرون

هذا واني اروم ايها القراء الكرام ان ابسط لديكم مثالا على ما تفعله الالفة والتحابّ بين المواد غير العاقلة حتى نصل اخيراً الى اهمية هـذا الائتلاف في الجنس البشري · من له ادنى المام بعلم الكيميا يعلم جلياً ان الماء التي يشربها الانسان والحيوان والنبات فيروي غليله من العطش يكون قسما عظيما من جسده وعليه تتوقف حياة الاحياء كما تتوقف على غيره من الغـذاء يتركب من الاكسجين والهيدروجين والاكسجين عنصر بسيط يعين المواد على الاشتعال اذ يتحـد بكربونها والهيدروجين عنصر آخر بسيط يشتعل باتحاده مع الاكسجين ويولد حرارة عظيمة ونفس هـذا الاتحاد يكوّن لنا المياه التي نروي بها عطشنا · فمن يا ترى من الناس قبل

العلم كان يظن ان المياه موءلفة من مواد تذيب الجامود من شدة حرارتها الشيء الذي يضاد ماهية المياه كل المضادة فهذا الانقلاب الذي حدث في طبيعة الاكسجين والهدروجين لا يعلم حدوثه الا الله المبدع الكائنات فانظروا الى قصر ادراك البشر وانظروا الى بدائع الطبيعة الا تدل دلالة واضحة على سمو الباريء وعظمته اكثر مما يدل عليه غيرها من الادلة . اليست غرائب الطبيعة شاهدة بوجود ذلك العظيم القوي . اليس هذا الاتحاد والاتفاق بين العناصر من شرائع الله العامة في خلقه . لا ينكر هذه الحقيقة الا كل معاند مكابر

فاذا كانت سنة التواد والائتلاف من سنن الله في غير العاقلة . الا يكون ذلك الحكم على الطبيعة العاقلة البشرية مقصوداً اولا منه لا تنكر ان الالفة من الله وهو قد جعلها في الانسان وفي كونه اجمع تفادياً من اضمحلال هذا الكون فهي من اعظم الادلة على عناية الباريء في خلقه

افلا يليق بنا اذاً نحن ابناء الانسانية ان ننضم ونتحد اتحاداً متيناً بالالفة الموضوعة من الله التقوى كايتنا وتتغير طبيعة فريدتنا وماهية جزئيتنا فنغادر كل ما يضاد الانسانية في زوايا الخمول والانخذال وبذلك نرضي الله اذ نكون قد تممنا وصاياه وشرائعه فنتمتع بلذيذ انعاماته ونجتني اثمار فضله ورحمته لانه الرحيم الكريم

« الدكتور . ي »

﴿ وجوب العقوبات ﴾

طبع الانسان ميالا الى الشر مسترسلا الى اهوائه واغراضه يطمع في مقتنيات غيره ويحسده على ما بين يديه بل يروم الاستئثار بكل امر يراه خيراً لنفسه ويود لو يكون العالم باسره ملكا له يتصرف فيه كيفما شاء . وفي الانسان من مثل هذه الصفات الغريزية وغيرها ما يدفعه الى ارتكاب واقتراف الضر فقد ركب فيه الميل الى الاعتداء والاغتصاب والبغي والجور والتحرش ومن طباعه التنازع والتباغض والحقد والانتقام والخيانة واللوءم والغدر والاحتيال والمكر ذو فطره وحشية وطبيعة مجبولة على الفتك يثور على اخيه فيقتله بريئاً ويحمل على مناوئه فيطرب لصوت النزع في صدره وقد عرف بانه اشد شراسة من السباع الضارية واصلب قلباً من الحجارة القاسية . اذا اراد ارتكاب شر فقلما يرتد من طبيعته عنه او يكون له من نفسه رادع يمنعه منه

ومع ذلك فقد خلق الانسان اليفاً مدنياً بالطبع ميالا الى الاجتماع فقد كان في اول امره منفرداً ضارباً في مجاهل الارض ثم تحيز فرقاً او جماعات وما زال يتسع نطاق اجتماعه ويمتد ظله في الحضارة والمدنية الى ان اصبح على ما نراه فيه اليوم من تخطيط المدائن الواسعة وتأليف الممالك

العظيمة وتقريب الابعاد وتيسير المواصلات وتفننه في ضروب العمران وجعل جمعيته البشريـة مشتبكة الروابط مشتدة الاوصار كالسلسلة الواحدة اذا انفكت حلقة من حلقاتها احدثت خللا في سائر هذا المجموع

واول ما خطر للانسان عندما اقبل على الاجتماع بل اول ما اضطر اليه قياماً بالغرض الذي اجتمع لاجله من حيث التعاون على اصلاح حاله والذود عن حياته ومتاعه ان يكون لاجتماعه نظام يوءلف بين افراده فيصون الحقوق العامة ويحفظ الصلات ويمنع التعديات فنشأت من ذلك السلطـة ووجدت الزعامات فالمشيخات فالرئاسات فالحكومات وبذلك النظام استطاع الانسان ان ينتقل من طور الى طور و يزداد امتداداً في الاجتماع وبسطة في العمران وكان النظام يتقدم بتقدمه ويسير متبعاً ضرورات كل جيل من الناس وكل عصر من العصور

لا جرم ان هذا النظام هو الذي ضبط الانسان وهو على ما عرفناه به من شرية الخلق عن ان يظـل مندفعاً في غمرات امياله الوحشية يفعل ما تزينه له الاهواء وتندفع اليه الاطماع مما يستحيل معه حصول الاجتماع ولا يتيسر الوصول الى الغاية المقصودة منه وقد جعل له حداً لا يتعداه وضرب عليه العقاب اذا هو حاد عن السبيل الذي اختطه له ليجري عليه وبذلك استتب قيام ذلك النظام وتوصل المجتمع الى الحصول على الفائدة التي وضع لاجلها . وذلك ان الشرائع تمنع القتل ولكن هذا المنع

لم يكن كافياً لان يمتنع الانسان عنه لو لم يكن يعلم ان القاتل يقتل او انه يزج في سجن موءبد يذوق فيه العذاب الواناً ويفضل الموت فيه على الحياة وكذلك الشرائع تمنع ان يضر الواحد بالاخر وان يتعرض للحقوق العامة ولكن من كان يأبه لذلك لو لم يكن من ساعد الاحكام المتين ما يقبض بشده عليه ويقتص منه على ما جناه · وانظر الى الاديان فان اكثرها قد قدمت العقاب على الثواب وانما الغرض من ذلك ادخال الرهبة على النفوس حفظاً لتلك السنة وحملا للناس على العمل بما تقتضيه

فقد ثبت مما تقدم ان النظام لا بد منه لحفظ كيان هـذا المجتمع كما ان العقاب لا بد منه لحفظ كيان هذا النظام وقد اجمع على ذلك المتشرعون عامة الا ان منهم من مستهم الرأفة بالمجرم فرأوا استبدال العقاب بالغرامة المالية والقوَد بالسجن وما اشبه ذلك ميلا الى الرفق بالانسان ولهم في ذلك مباحث طويلة نقتصر على ذكر اهمها بالايجاز مراعاة للمقام

ومعلوم ان العقاب مترتب على الجرم من حيث كونه اي الجرم فعلا مخالفاً لما يأمر به النظام او ينهى عنه فيكون نظام العقوبات اذن هو مجتمع القواعد التي تجعل الحق العام يقتص من المجرم وعليه فالعقاب يكون العمل بما نصت عليه القواعد وغايته الاصلية النفع العام وهو انما يكون فيما لا يدخل تحت ملك مالك كحياة الانسان وحريته بعكس الحكم الذي يصدر مثلا باعادة حق مغتصب او تحصيل حق ضائع او تعويض الضرر

بالمال مما هو معروف بالحقوق الشخصية فان ذلك ينحصر فيما يجوز للانسان ان يتملكه و يكون غايته النفع الخاص . واهم ما يؤخذ من اقوالهم في هذا البحث ينحصر في ثلاثة اقسام

الاول :— وجوب العقاب من حيث العدالة — وقد تولد عن هذا المبدأ مذهب عرف بالعدالة المطلقة او التكفير عن الذنوب ومرجع هذا المذهب الى الاعتقاد بان السلطة من عند الله وان الملك ظل الله على الارض وان حق العقاب الذي له انما هو حق صائر اليه من هذه العدالة المطلقة . غير ان اصحاب الآراء الحديثة لا يسلمون بذلك بل يقولون ان حق العقاب انما هو مختص بالامة التي تقوم به بواسطة نوابها فان السلطة المشترعة تضع النظامات للعقوبة والسلطة الاجرائية تقوم بتنفيذها وعندهم ان بين العدالة الالهية والعدالة البشرية بوناً شاسعاً . فالاولى تصفح عن المذنب والثانية لا تستطيع الا ان تعاقبه عبرة لسواه ولو ندم على ما فعل . ومن هذا وغيره مما لا حاجة بنا الى ذكره يستنتجون ان العدالة البشرية في وجوب العقاب ليست براجعة الى مذهب العدالة المطلقة وان العقاب على الحالين واجب لان الله سبحانه لا يأذن فى اعتداء الواحد على الاخر وقد نهى عن القتل وارتكاب المحارم وقضى بمعاقبة المعتدي . والانسان اذا عاقب المجرم دفاعاً عن كل فرد من افراده وصيانة للنظام العام لا يكون قد ظلم بل انصف وعدل وعليه فالعقاب يكون واجباً عدلا

الثاني — وجوب العقاب من حيث النفع — واول المذاهب فيه المعروف بمذهب الرابطة الاجتماعية واشهر من قام به بكاريه وجان جاك روسو وقد ايده بعض الخطباء ايام اشتغال فرنسا بوضع النظامات وتسطيرها واساس هذا المذهب عند اصحابه ان البشر في حالتهم الطبيعية كانوا يعيشون منفردين ثم اقبلوا على الاجتماع بغاية النفع واذ ذاك وجدت الرابطة الاجتماعية التي انشأت حق العقاب . وجعل بعضهم حق العقاب من جهة ان االفرد من البشر قد ترك للجمعية البشرية التي هو عضو من اعضائها حق الدفاع عن نفسه وهذه القاعدة تعرف بالدفاع المستقيم . وذهب آخرون الى ان النظام لما كان ضروريًا لقوام الاجتماع فقد قبل الانسان من تلقاء نفسه ان يعاقب اذا خالف سنن ذلك النظام وهذه القاعدة تعرف بقبول توزيع العقاب . الآن اكثرهم حصر وجوب العقاب في لفظة النفع مجردة لان المجرمين اعداء للمجتمع باسره واي نفع بل اية ضرورة اشد من تجريد امثال هؤلاء الاعداء من اسلحتهم ووضعهم في حيز لا يتعدونه ومعاقبتهم على ما اجترموه

ستأتي البقية

لبنان　　　　محامي متشرع

﴿ الصلاة ﴾

الصلاة عمل من اعمال العبادة به نتضع امام الله ونعترف باننا محتاجون الى معونته فنطلبها لانه وهاب كل خير وقدير على كل شيء و بقدرته يمنحنا كل احتياجاتنا

على ان الصلاة فرض لا من هذه الحيثية فقط بل من حيث ان حاسات المحبة ايضاً تقتضيها · فان الديانة تامرنا ان نصلي الى الله لنقوم بواجب الشكر على الخيرات التي ننالها منه · واما المحبة فتعلمنا كيف ينبغي ان نصلي · وعليه قال القديس بولس رسول الامم العظيم « اننا لا نعلم ماذا نصلي كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بانات لا ينطق بها » (رو ٨ : ٢٦) ومعنى ذلك ان الروح القدس ينبوع المحبة يعضدنا و يساعدنا لنصلي كما يليق بارادة الله وبخلاصنا نحن « وهذه هي الثقة التي لنا به أنّا ان كنا نسأله شيئاً بحسب مشيئته فانه يستجيبنا » (ايو ٥ : ١٤)

وقد كان القديس اوغستينس يتعجب مما ياتي و يقول : لماذا اوصانا الله ان نحبه ما دام هو في ذاته اهلا لاعظم محبة ؟ يعني بذلك ان محبة الله لا تحتاج الى امر ولا الى وصية · فعلى مثال هذا المعلم الكنائسي المجيد يمكننا نحن ايضاً ان نقول : لماذا امرنا الله بان نصلي اليه ونسأله مادام كل شي

يوجب علينا الصلاة ويحثنا عليها : حتى اننا نقول بلا ريب ان ترك الصلاة هو عبارة عن اهمال لصوالحنا الشخصية عينها وازدراء بها . على ان امر الله ضروري لنا نحن ولخيرنا ومبني بنوع خصوصي على المحبة التي علينا نحو انفسنا . فانه امر مقرر ان محبة الذات توجب على الانسان ان يستعمل كل الوسائط التي تساعده على التخلص من الاخطار المتنوعة التي تكتنفه من كل جهة . غير ان خير هذه الوسائط واشدها ضرورة هي الصلاة . ولماذا ؟ لاننا مادمنا ضعفاء لا نستطيع ان نقاوم كل ما يعاكسنا من الظروف والاحوال العالمية ونقوى عليها . ومن هنا ينتج اننا في اشد الاحتياج الى المعونة والمساعدة التي نحصل عليها بواسطة الصلاة وفقاً لقول المخلص له المجد « الحق الحق اقول لكم ان كل ما تسألون الاب باسمي يعطيكم اياه » (يو ١٦ : ٢٣)

فاذاً ان كنت خاطئاً ايها الحبيب فلا تيأس ولا تكسل ولا تكف عن الصلاة . لانه من يعلم ما اذا كانت الك وسائط غير هذه تساعدك على التوبة والندامة ؟ وعليه فربما كان تركك الصلاة سبب ادانتك . وان كنت باراً في اعمالك فلا تغر ولا تظن انه يسوغ لك اهمال الصلاة والاكتفاء ببرك . لانك محتاج الى الثبات في فضيلتك وربما كانت الصلاة الواسطة الوحيدة لثباتك وانت تعلم ان يهوذا الاسخريوطي كانت اوائله صالحة ولكنه لم يثبت عليها فكانت اواخره شريره . وعكسه

القديس بولس الرسول فانه وان كانت اوائله رديئة فقد خلص لان اواخره كانت صالحة . ولكن كثيراً ما نسمع بعضاً يسألون : ألعل الله يجيب سوال الخطاة ؟

فعن هذا السوءال نجيب :

اذا راجعنا الكتب المقدسة نجد ان الرجل المولود اعمى لما سئل من من الفريسيين « كيف انفتحت عيناك » اجاب رجل اسمه يسوع صنع طيناً وطلاهما وقال لي اذهب . الخ . واذ قالوا له انا نعلم ان هذا الرجل خاطيء » اجابهم « نحن نعلم ان الله لا يستجيب للخطاة ولكن اذا احد اتقى الله وعمل مشيئته فانه يستجيب له » هذا ما قاله الاعمى عن يقين وعقيدة معروفة من اليهود كما يتضح من قوله « ونحن نعلم » (يو ٩ : ٣١) فاذ بحثنا في صحة او عدم صحة هذا القول نجد اكثر الشارحين ينكرون صحته ويقولون انه لما قال هذا القول كان غير مسيحي بعد . ويعللون شرحهم هذا بما ورد في مثل العشار من قبول صلاته وهو خاطيء فيقولون لو كان الله لا يستجيب للخطأة كيف استجاب للعشار صلاته حين كان يقرع صدره ويقول « يا الله اغفر لي انا الخاطيء ؟ » (لوقا ١٨ : ١٣)

ولكن اذا سلمنا بقولهم هذا نجد آيات اخرى توءيد بنوع ما قول الاعمى . من ذلك ما قاله داود النبي والملك في سفر الزبور « ان انا ابصرت في قلبي ظلما فلا يستجيب لي الرب » (مز ٦٥ : ١٨) ومعنى ذلك

ان الله لا يستجيب الانسان الذي يعلم نفسه انه مرتكب ظلما ما ومعنى الظلم الخطيئة اجمالا . فعلى ذلك لا بد من حقيقة دينية توفق بين هذين القولين : اعني بين القول بان الرب يستجيب للخطأة والقول بانه لا يستجيب لهم . اما هذه الحقيقة فلا تصعب معرفتها متى امعنا الفكر في الايات الكتابية المشار اليها امعاناً مدققاً وحينئذ نفهم ان الخطأة في هذا المقام يقسمون الى قسمين منهم من هم مستسلمون الى الخطيئة ومنصبون عليها . ومن هم نادمون على خطاياهم وتائبون عنها . فعن القسم الاول قال النبي والملك ما معناه . انه لا يستجيب لهم لانهم يصرون الخطيئة في قلوبهم وينظرون الظلم في دواخلهم ويقيمون عليه واما عن القسم الثاني فقال الكتاب ما معناه : انهم يبررون اكثر من المعتمدين على فضائلهم كما برّر العشار لانهم يندمون على ظلمهم ويقلعون عن خطاياهم ويطلبون من الله نعمة الرجوع فيستجيب لهم

على اننا عندما نصاب بامر مكدر من امور العالم او عندما نخاف نائبة من صروف الدهر او عندما نعزم ان نتعاطى مصلحة من مصالح الحياة ماذا نعمل عادة واي فكر يكون الاول ؟

عادة نفتش على كل الوسائط التي تهدينا اليها حيلة هذا العالم وحكمة هذا الدهر او نطلب لاغاثتنا مساعدين من البشر الضعفاء امثالنا ولا نتردد في ان نجعلهم مقر امانتنا ونلقي على مساعدتهم كل نجاحنا . ولكن قلما يخطر

في بالنا (اذا قلنا انه لا يخطر على الاطلاق) ان نلتجيء الى الله قبل كل امر من امورنا ونطرح لديه اعمالنا ليباركها ونعرض الى رحمتـه الاخطار التي تكتنفنا ونصلي اليه لكي يحفظنا منها كاننا نعتقد ان الله لا يعتني في احوال البشر كلها او كاننا نرى ان اهتمامنا واجتهادنا يكفلان راحتنا ويكفيان لنجاحنا او كاننا واثقون بمساعـدة اصدقائنا اكثر مما نثق بمساعدته . . ولكن لا احد يضل لان قوله « اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم » هو الحقيقة الثابتة

اما الوجه الذي علمنا مخلصنا ان نقدم بموجبه طلباتنا فـلا ينبغي ان ننساه . وهـذا الوجه يلخص في قوله « اطلبوا اولا ملكوت الله وبره » (مت ٦ : ٣٦) ومعلوم ان ربنا له المجد وبخ تلاميذه مرة على قصورهم في الطلب فقال لهم « الى الان لم تطلبوا شيئاً باسمي » (يو ١٦ : ٢٤)

ولكننا اذا راجعنا الانجيل المقدس نجد ان بطرس طلب من الرب ان يقيموا على جبل ثابور فقال له [يا رب حسن لنا ان نكون ههنا] [مت ١٧ : ٤] وكذلك ام ابني زبدي طلبت منه ان يجلس ولداها عن يمينه وعن يساره في ملكوتـه [مت ٢٠ : ٢١] وابنا زبدي نفسهما طلبا مرة منه ان يسمح لهما ان يقولا ان تنزل ناراً من السماء وتحرق احدى قرى السامرة [لو ٩ : ٥٤] فكيف اذاً يوبخ المخلص تلاميذه بقوله [الى الان لم تطلبوا شيئاً باسمي]

لانهم انما كانوا يطلبون منه خيرات عالمية فقط او شبه عالمية . (ان لم نسلم بان ام ابني زبدي كانت تعني بملكوت المسيح ملكاً زمنياً) فهذه الخيرات العالمية لا ينطبق طلبها قول المخلص (اطلبوا اولا ملكوت الله وبره . ولا اعتبار لها امام الله ان لم يكن جوهر الطلب متعلقاً بخلاص الانسان ونيله ملكوت السماء ولا تقل : اني اطلب لانال لانه هو قال « اطلبوا تجدوا » . لان الذي امرنا ان نطلب لنجد . علمنا كيف نطلب واما ما خص الخيرات التي نطلبها او بالاحرى التي نجعلها محور طلباتنا فقد علمنا هو نفسه انه يمنحها لكل الخلائق على الاطلاق حتى للذين لا يطلبون منه

محاضرة دينية

انه لامر غني عن البيان ان كل ذي بصيرة من المؤمنين يعترف ان الله سبحانه سعيد بذاته منزه عن الحاجة . كماله فوق كل كمال . قداسته عالية عن التمجيد . وبالجملة لا يفتقر الى شيء ما على الاطلاق . فقد قال الكتاب لا يخدم بايادي الناس كانه محتاج الى شيء . اذ هو يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء كما يتضح من اعمال الرسل (١٧ : ٢٥) فان كان

الامر كذلك ترى ما هو الامر الذي اقتضى ان يبدع الله العالمين المنظور وغير المنظور اعني الملائكة والناس . يقول المؤمن : ابدعا عن صلاح اقصى : اي ان صلاح الله اقتضى ابداع الاثنين . وان كان الله غنياً بذاته فما هي الغاية بابداعهما . يقول لكي يعرفاه رباً وخالقاً ، ويعبداه ويسعداه بمجده الابدي . فاذاً الانسان قد خلق لكي يعرف الله ويعبده ويسعد بمجده . نعم لهذا قد خلق والذين لا يعبأون ان يعرفوا هذه الحقيقة يخطئون خطأً مضاعفاً لانهم اولا : يضادون المقصد الالهي ، ثانياً : يتوغلون بالعالميات ظناً منهم بانهم لاجلها قد وجدوا . لذلك يسقطون شر السقوط

ومع انهم يشاهدون نصب اعينهم حراب الموت تفعل في الجميع لا يستفيقون . وعن مثل هؤلاء قال داود النبي والملك والانسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم الخرس «مز ٤٩ : ١٢» ان الانسان الاحمق يعذر اذا ما فعل ، اما الذين يدعون ذواتهم حكماء ويتحكمون فيما للعالم هؤلاء لا عذر لهم في خطيئتهم هذه . وبالواقع ان هذه المعرفة هي ام الفلسفة لان الذين يتعبدون بها قد شهرتهم صفاتهم انهم اجل قدراً من كل فيلسوف والذين اهملوا حتموا على ذواتهم ان يعيشوا كالحيوانات غير الناطقة . فكما ان الفلسفة الحقيقية تقوم بمعرفة الله وحفظ شريعته الطاهرة هكذا السعادة الحقة الصادقة الابدية تقوم بعبادته تعالى . لان الفلسفة بدون

معرفة الله هي جهالة والسعادة بدون عبادته هي ذات الشقاء الاعظم فاية نتيجة للفلسفة مع الكفر :

ان نتيجتها قد اتضحت فان اعظم الفلاسفة الوثنيين مع تعمقهم في العلوم الطبيعية قد حاكوا الاطفال في ارائهم ذاهبين مذاهب دنيه بهذا المقدار توءزن بخروجهم عن دائرة التمييز ، فاذاً اية سعادة لمن عرف الله ولا يعبده او اي هناء لمن يخالف قواه العاقلة فيهم متوغلا في اودية الشهوات العالمية مماثلا الحيوانات العجم و بالتالي منكراً الحياة والخلود

فمن مثل هوءلاء يقول الكتاب « انهم لما عرفوا الله لم يمجدوه و يشكروه كاله بل حمقوا فى افكارهم واظلم قلبهم الغبي » هذا ما قاله رسول الامم الالهي بولس الى اهل رومية في الفصل الاول : ٢١ » وان الشياطين يوءمنون و يقشعرون بذلك كما قال يعقوب الرسول في رسالته في الفصل ٢ : ١٩ »

فلا سعادة حقيقية في هذا العالم الباطل لانه سريع الزوال . ولا يستطيع الانسان على ضمانة شيء من انواع السعادة العالمية . لا صحة ولا حياة ولا مجد ولا مال ولا بنون الكل في خطر مجهول الوقت ، الكل في عدم ، يرى الانسان ذاته في سلامة . ولكن بغتتاً يصادفه مرض ، اليوم هو حي وغداً او في الليلة ذاتها يفاجئه الموت ، اليوم حائز منصب المجد ولربما في الغد يعتريه السقوط ، اليوم غني وفي الغد يلم به الفقر ، اليوم له

اولاد ولربما عن قليل يعدمهم . نحن لا ننكر ذلك لاننا كثيراً ما نشاهده ولماذا لا نستفيق ؟ ان في ذلك عجباً . ولكن الانسان يتناسى لظروف كثيرة ويحتاج للتحريض

ان عدم التمسك بمعرفة الله وعبادته هو من صفات غير المؤمنين بالله واما المسيحيون الذين خلقوا بيسوع المسيح للاعمال الصالحة كما ابان ذلك الرسول في رسالته الى افسس « ٢ : ١٠ » حيث قال لاننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لاعمال صالحة قد سبق الله فاعدها لكي نسلك فيها وقال ايضاً « ليس هذا شانهم لانهم ليسوا لانفسهم بل للذي مات لاجلهم وقام » « ٢ كور ٥ : ١٥ »

المسيحي يجب عليه ان يعرف الله كما ينبغي و يعبده بالروح والحق ولا يخفى ان الوحي هو دستور للامرين وبما اننا متهاملون عن اتخاذه فنحن في حالة غير مرضية وهذا لا يليق كلياً بل ينافي على خط مستقيم دعوتنا تسميتنا . وطننا . احسانات الله التي سر فانعم بها علينا في مشرقنا الذي الله نفسه جعله اشرف اقسام الكرة الارضية . وبالتالي يجعلنا في خطر من جهة السعادة الابدية . اننا نحن ابناء المشرق وقد ميزتنا العناية الالهية عن سوانا فلنتامل « لها تابع »

ابنة القبطان

٥

« تابع لما قبل »

ولما طال الحصار امر القبطان فانهالت جنوده وفرسانه من القلعة وبرزوا الى الاعداء واشتبكوا معهم بمعركة شديدة انجلت عن انكسار سكان القلعة . وقد اخذ القبطان اسيراً واعتقل الجم الغفير من الضباط وغيرهم وكان بينهم بطرس . ثم دخل بوكاتشوف القلعة بموكب عظيم مشى فيه جميع اعوانه وفرسانه ولما وصل الى احدى باحاتها جلس على كرسي مرصع وامر باحضار الاسرى حتى اذا حضروا وجه خطابه الى القبطان قائلا : ارايت نتيجة العصيان ايها القبطان . فلم لم ترعوِ عن غيك وتسلم زمامك لولي امرك

فاجاب القبطان دون تهيب : لست اعرفك ملكا لانك لص ومحتال فالموت عندي اهون من الفضيحة والعار

فالقى عليه بوكاتشوف نظراً وحشياً وامر بشنقه .. ثم دعا الضباط واحداً واحداً ليحلفوا له يمين الطاعة فابوا جميعاً اشد الاباءة متمثلين بقائدهم فسيقوا جميعاً الى موضع النكال . اما بطرس فلما جاءت نوبته للمثول امام بوكاتشوف تقدم بقدم ثابتة وقلب لا يهاب الموت . ولكن يا للعجب

فانه رای خادمه ايوب واقفاً بازاء بوكاتشوف ببزة قوزاقية ، فخار ولم يفقه السر . اما بوكاتشوف فقال له : انى اعفو عنك ايها الشاب لامر ستقف عليه بعد قليل فاذهب الان الى حيث تشاء ووافيني مساءً لان لي كلاماً معك . بعد هذا طفق الناس يقبلون على بوكاتشوف زرافات ووحدانا و يعاهدونه و يقدمون له خبزاً وملحا كما هي العادة المألوفة عند الروسيين . و بعد ذلك حضر كاهن القلعة ودعاه الى منزله لتناول طعام العشاء فلبى الدعوة وانطلق الى جهة منزل الكاهن تحف به جماهير الناس . وفيما هو سائر سمع امرأة تولول وتصرخ باعلى صوتها : « و يلكم يا قساة القلوب ، ماذا فعلتم بزوجي اواه يا ميرانوف اين اصبحت الان ، فلا درَّ درّ القاتل واف له من وغد لئيم ولص محتال » فتوقف حينئذ بوكاتشوف عن المسير وامر باحضار هذه المرأة واذا هي زوجة القبطان . فامر بقتلها حالاً فجرى عليها القضاء

اما بطرس فبقي بعد ذهاب الجمهور واقفاً في الطريق مبهوتاً كانه اصيب بصاعقة . ثم غاص في لجة من التأملات تنقلب معه من طور الى طور . فكان تارة يفتكر بمن صار لها في قلبه منزلة رفيعة الا وهي ماري التي اصبحت بعد هذه النكبة وحيدة فريدة وقد فقدت والديها دفعة واحدة ، وطوراً يفتكر بحاله و يندب سوء حظه ، وآونة يمثل لمخيلته المستقبل وماذا يصنع بعد هدم ركن رجائه

وبعد ان مضى عليه شطر من الوقت وهو هائم في هذه التصورات عزم ان يسير نحو قصر القبطان الفقيد ليرى ما حل به · ثم سدد خطواته اليه فالفاه خاوياً خالياً ليس فيه انيس ولا جليس فاطبق الحزن على قلبه واجهش بالبكاء والعويل · وفيما هو هو على هـذه الحالة سمع حركة باب يفتح واذا باحدى جواري القبطان ابتدرت اليه وسقطت على الارض مغشياً عليها ، فعطف عليها بطرس وانهضها واخذ يسكن روعها ، ولما آب اليها رشدها استعلمها خبر ماري وماذا حل بها بعد هذه الويلات ، فتنهدت من فؤاد جريح وقالت له بصوت متقطع : انها يا سيدي مختبئة في منزل الكاهن ولكنها مريضة واست تقدر ان تراها الان لان بوكاتشوف الطاغي مع اعوانه ومن جملتهم شغابرين يتعاطون الان كؤوس المسرات في ذلك المنزل وقد رآها بوكاتشوف تتقلب على فراش الوجع ولكنه لم يعلم انها ابنة القبطان ولو عرفها لسقاها الردى بلا ريب ولكن الله رحيم لم يشاء ان يوقعها في ايدي هؤلاء الطغاة

فهاجت خواطر بطرس واستهلت دموعه على عارضيه ووقف برهة يتأمل في كلام الجارية ثم سألها : اوليس من واسطة لرؤيتها ؟ فاجابته بلى ولكن الافضل ان يكون ذلك غداً عند السحر · ثم غادرته وعادت من حيث اتت · اما هو فسار الى غرفته وامارات الكآبة والحزن الشديد بادية على محياه · ولما دخلها الفاها خالية من الاثاث والاواني لان بعض

القوزاق ولجوها كما ولجوا غيرها ولم يبقوا ولم يذروا

وما استتب بطرس المقام حتى دخل خادمه ايوب وهنأه بالسلامة وقال له : اتذكر يا بطرس من هذا الشرير الذي امر بقتلك

ـ من اين لي ذلك

ـ اتذكر الدليل الذي قادنا الى المنزل المنفرد حينما كنا مسافرين من سيمبرسك الى اورنبورج وقد كدنا نقع في بلية من جراء تراكم الثلوج

ـ نعم اذكر ذلك وقد وهبته جبتي واجرة وافرة على صنيعه المبرور معنا

ـ فزعيم القوزاق هذا المدعو بوكاتشوف هو الدليل بعينه

فاندهش بطرس عند ذلك واخذ يتأمل في كلام خادمه وقد اخذ العجب منه مأخذاً عظيما وقال : هل عرفني ؟

ـ نعم عرفك وانا اكدت له ذلك او لم تستغرب وقوفي بازائه وانا بزيّ القوزاق

ـ قد استغربت ذلك وظننت انها حيلة فبورك فيك من خادم امين اما الان فماذا تشير عليَّ ان اصنع أأبقى هنا ام اشخص الى مدينة اورنبورج

ـ الافضل يا مولاي ان تسير على بركة الله الى اورنبورج وتنتظر الفرج لان بوكاتشوف مزمع ان ينصب عدوك شفابرين الخائن حاكماً على هذه القلعة

فجمد بطرس عند سماعه هذا الكلام وقال : امؤكد انت ذلك ؟

ــ نعم وغداً تشاهد الاحتفال بتنصيبه

فارتعد بطرس فرقاً لهذا النبأ وبعد ان تفكر قليلا قال : وماذا يحل بالمسكينة ماري ... انها تموت كمداً

ــ لا حيلة في خلاصها لانها مريضة الان ولا بأس عليها في منزل الكاهن . ففاضت دموع بطرس وتنهد طويلا . وفيما هما على هذا واذا بالباب يقرع قرعاً عنيفاً فنهض ايوب ليرى القارع فالفى امامه قوزاقياً فسأله عن بغيته . فاجاب : دع بطرس غرينوف يتوجه لمخاطبة جلالة الامبراطور (يريد بوكاتشوف) فلبى بطرس حالا وخرج على اثر القوزاقي الى حيث كان بوكاتشوف ومعه عشرة من كبار قومه ، فحياهم جميعاً وجلس ، وما لبث حتى قال له احد الحضور وكان اكبرهم سناً :

كن فرحاً ايها الضابط الاكرم بما سكب عليك سحاب الدهر من وابل السعادة والاقبال وكن مثمراً بالنجاح والفلاح فان سيدنا ومولانا يريد ان يجعلك وزيراً له

فامتقع لون بطرس ولم يبد حراكا . وبعد محادثة قصيرة نهض جميع الحاضرين باشارة بوكاتشوف وخرجوا من المحل الا بطرس . فقال له بوكاتشوف : هل عرفتني ايها الشاب اتذكر الجبة والدنانير التي قبلتها منك ونحن في بين سيمبرسك واورنبورج

فتوردت عوارض بطرس واجاب باحتشام : اجل اني اذكر كل ذلك

قال بوكاتشوف : اما الان فاعلم ني اريد الزحف قريباً الى مدينة اورنبورج فهل ترافقنا

ـ كلا يا سيدي لاني لا ارغب في تغيير مبدأي الاول مهما تقلبت الظروف وتنوعت الاحوال

فبهت بوكاتشوف من هذا الجواب ونظر اليه شذراً وقد اختلط منه العجب بالغضب وقال : لماذا تنفر مني وقد عفوت عنك الا تعلم اني اجعلك العزيز الاكبر في حاشيتي

ـ اعلم ذلك غير انه يعز عليّ ان اهين شرف الضابط الروسي ولو رفعت على روءوس القواضب · ولم يكد يتم كلامه حتى قال له بوكاتشوف بقسوة وعنف ، اولست تعلم ان حياتك بيدي

ـ لا مراء في ذلك ولكن بامر الله الذي يفعل ما يشاء اما انا فالقي اتكالي على خالقي واخدم وطني وحاشا ان يقال عني فيما بعد انى خنت وطني العزيز الذي اشتراه ابائي واجدادي بانهر من الدماء

فاحبه بوكاتشوف كثيراً ومال اليه لما راى من اعتصامه بحب وطنه ولكنه كتم ذلك وسأله : اي مكان تقصد الان ؟

ـ اذا سمح سيدي فوجهتي مدينه اورنبورج

ـ انطلق الى حيث تشاء ولكن لا تكن من اعدائي

ـ قلت لك اني مقيد بخدمة الدولة والوطن ومهما يامرني اولياء امري لا اتاخر عن اجابة الطلب ولو كان دون ذلك خرط القتاد

ـ اذهب الان وغداً تاتي لتودعني

فغادره بطرس وذهب الى غرفته واخبر خادمه بما جرى بينه وبين بوكاتشوف وصباح اليوم التالي ذهب الى منزل الكاهن ليشاهد ماري ولما رآها لم يتمالك عن البكاء · اما ماري فكانت ملقاة في هذه الاونة على سريرها فلما شاهدت بطرس رنت اليه بعين غرقى في الدموع وقالت له بصوت حزن ورنة كابة : اين ابي واين امي يا عزيزي بطرس · ماذا جرى لهما · اواه واسفاه · فازداد خفقان قلب بطرس عند هذه الكلمات واستهلت دموعه على خديه واجابها بصوت حزين : بذلك جرى حكم الله ايتها العزيزة فلا تيأسي والله عادل رحيم سيأخذ بثأرك ويعاقب الظالمين

فاجهشت ماري بالبكا وتنهدت من قلب جريح وفاض صدرها ببعض كلمات تذيب الجلمود ··· فتقدمت اذ ذاك امرأة الكاهن وقالت لها : كفكفي الدمع الان يا حبيبتي وسكني جاشك والقي اتكالك على الله وعلى صديقك بطرس الذي يكون لك نعم المعزي

اما بطرس فانحدرت سيول الدموع من مآقيه لا انه تجلد وقال مخاطباً

ماري: ثقي ايتها العزيزة باني احفظ لك الى الرمق الاخير من عمري العهد الذي عاهدتك به . اما الان فقصدي ان اسير الى اورنبورج . وبعد ايام قلائل ساعود اليك اذا شاء الكريم المنان ظافراً غانماً . وحسبي اني الان رايتك وتزودت منك هذه النظرة قبل الرحيل الذي لا يقوى ان يغير شيئاً مما عزمت عليه . وفي يقيني انك انت ايضاً ستحافظين ما استطعت على عهد مقدس قد ارتبط به قلبانا فاستودعك الله . ثم خرج من الغرفة فالتقى بخادمه ايوب وسار معه الى باحة القلعة حيث كان بوكاتشوف واقفاً على مرتفع يحيط به عدد غفير من الناس فلما رأى بطرس ناداه بصوت جهوري وقال له : انطلق الى اورنبورج وحدث اهلها بما حل بقلعة الجبل الابيض فان اطاعوا صاغرين فانا لهم نصير وظهير والا فاذيقهم مر العذاب ثم وجه خطابه الى الجماهير التي حوله قائلا اليكم يا سكان قلعة الجبل الابيض اوجه كلامي فاقول : لقد نصبت حاكماً عليكم ووكيلا لي هذا الرجل الكريم والبطل القسور شفابرين فيجب عليكم منذ الان ان تمتثلوا امره وتنقادوا له بالطاعة والمحبة

اما بطرس وايوب فخرجا من القلعة وشمرا قاصدين اورنبورج وكل منهما سابح في لجة التأملات ملياً

« لهـا تابع »